سلسلة الدروس (١٧)

١٤٤٨هـ

شرح فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد

تأليف

العلامة الشيخ

عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله تعالى

(١١٩٣ - ١٢٨٥هـ)

الشيخة

أم عبد الله بنت الشيخ مقبل بن هادي الوادعي

حفظها الله تعالى

دار الوادعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (١٤)

قَالَ الشيخُ عَبدُ الرَّحمَنِ بنُ حَسَنَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الوَّهَابِ بنِ سُلَيمَانَ التَّمِيمِيُّ رحمهم الله:

٥-بَابُ تَفْسِيرُ(١) التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه

قَالَ المصنف رحمه الله: بَابُ تَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه

ش/قلت: هذا من عطف الدال على المدلول (٢).

---

(١) التفسير: الكشف والإيضاح.

(٢) العاطف: حرف الواو، والدال هنا: شهادة ألا إله إلا الله، والمدلول: التوحيد.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في «قرة عيون الموحدين»(٤٤): لأن التوحيد هو معنى هذه الكلمة العظيمة.

وفي «حاشية كتاب التوحيد»(٦٦)لابن القاسم: عطف الشهادة على التوحيد من عطف الدال على المدلول؛ فإن التوحيد هو معنى لا إله إلا الله ومدلولها مطابقة. اهـ.

فالتوحيد هو معنى لا إله إلا الله مطابقة، في اشتماله على النفي والإثبات، نفي جميع ما يعبد من دون الله، والإثبات: وهو إفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له.

والأصل في العطف التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه، ولكن قد يجيء عطف المترادفين كما في هذا التبويب(بَابُ تَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه)، فقد يعطف الشيء على نفسه إذا اختلف اللفظان، وكما في قول الله تَعَالَى: ﴿طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ۝١﴾ [النمل: ١]، وقال عز وجل: ﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ

تَهۡتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [البقرة: ٥٣]، والفرقان هو الكتاب الذي أنزله الله على موسى، كما قال الله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨].

ومنه قول الشاعر:

وقدَّمت الأديم لراهشيه... وأَلْفَى قَوْلها كذِبًا ومَيْنَا

المَين: هو الكذب. فالمعنى واحد.

قال الفراء في «معاني القرآن»(٣٧) في تفسير الآية المذكور من سورة البقرة(٥٣): وإن العرب لتجمع بين الحرفين وإنهما لواحِد إذا اختلف لفظاهما. ثم ذكر البيت المذكور.

قال: وقولهم: بعدًا وسحقًا، والبعد والسحق واحد.

وقال ابن القيم في «بدائع الفوائد» (١/ ١٨٩): فائدة بديعة:

القاعدة أن الشيء لا يعطف على نفسه؛ لأن حروف العطف بمنزلة تكرار العامل؛ لأنك إذا قلت: قام زيد وعمرو، فهي بمعنى قام زيد وقام عمرو، والثاني غير الأول، فإذا وجدت مثل قولهم: كذبا ومينا فهو لمعنى زائد في اللفظ الثاني وإن خفي عنك؛ ولهذا يبعد جدًّا أن يجيء في كلامهم: جاءني عمر وأبو حفص، ورضي الله عن أبي بكر وعتيقه؛ فإن الواو إنما تجمع بين الشيئين لا بين الشيء الواحد. اهـ المراد.

ولا عطف أيضًا عند اتفاق اللفظ إلا ويكون فيه زيادة فائدة بلاغية أو تفسير ونحو ذلك، كقوله تَعَالَى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٣]، فإله آبائه هو إلهه، وهو

فإن قيل: قد تقدم في أول الكتاب من الآيات ما يبين معنى (لا إله إلا الله)، وما تضمنته من التوحيد، كقوله تعالى: ﴿*وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، وسابقها ولاحقها، وكذلك ما ذكره في الأبواب بعدها، فما فائدة هذه الترجمة؟

قيل: هذه الآيات المذكورات في هذا الباب فيها مزيد بيان بخصوصها لمعنى كلمة الإخلاص، وما دلت عليه من توحيد العبادة(٣).

الله سُبحَانَهُ؛ ولهذا قال: {إِلَهًا وَاحِدًا}، وفي العطف زيادة تفصيل: ذكر إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق.

(٣) هذا الباب فيه زيادة إيضاح وبيان في التوحيد وبيانه.

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله في «شرح فتح المجيد»(١/ ٧٢٠): قد يغفل عنه طالب العلم، لكن إذا عُقد له باب خاص فهذا مما يعطي طالب العلم اهتمامًا بهذه المسألة. اهـ.

وقد تقدم عدة أبواب في تقرير التوحيد وفضله، ولكن هذا التبويب فيه زيادة إيضاح وبيان في تفسير التوحيد، فلا بد أن يعرف المسلم ما معنى التوحيد، لا يقرأ في كتب التوحيد من غير فهم، والمراد بالتوحيد هنا: توحيد الألوهية، وهو إفراد الله بالعبادة ونفي جميع ما سواه.

وما سيأتي بعد هذا الباب من الأبواب فيها تفاصيل عن بعض الشركيات والحذر منها: كلبس الحلقة، والخيط، وحكم الرقى، والتبرك بالأشجار، وحكم السحر، والكهانة، والتنجيم.

وفيها[٤]: الحجة على من تعلق على الأنبياء والصالحين يدعوهم ويسألهم [٥]؛ لأن ذلك هو سبب نزول بعض هذه الآيات، كالآية الأولى[٦]:﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الإسراء:٥٦][٧].

---

(٤) أي: في آيات هذا الباب.

(٥) لأن بعضهم قد لا يفهم يقول: الشرك عبادة الأصنام كالأشجار والأحجار ونحوها، ولا يعتقد أن هذا من الشرك دعاء الأموات من الأنبياء والصالحين والاستغاثة بهم وسؤالهم، وهذا فيه الرد عليهم، وأن هذا شرك أكبر.

(٦) أي: الآية الأولى تحت هذه الترجمة ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ۝٥٦﴾ [الإسراء: ٥٦].

(٧) هذه الآية المذكورة هل لها سبب نزول؟

أخرج البخاري (٤٧١٤) من طريق سُفْيَان، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ-وهو الأعمش-، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ-عبدالله بن سخبرة-، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ-ابن مسعود-﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] قَالَ: «كَانَ نَاسٌ مِنَ الإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَاسًا مِنَ الجِنِّ، فَأَسْلَمَ الجِنُّ وَتَمَسَّكَ هَؤُلاَءِ بِدِينِهِمْ». زَادَ الأَشْجَعِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الأَعْمَشِ: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ} [الإسراء: ٥٦].

قال الحافظ في «الفتح»(٨/٣٩٨): قَوْلُهُ: عَنْ سُفْيَانَ عَنِ الْأَعْمَشِ: {قُلِ ادعوا الَّذين زعمتم} أَيْ: رَوَى الْحَدِيثَ بِإِسْنَادِهِ، وَزَادَ فِي أَوَّلِهِ مِنْ أَوَّلِ الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا.

وهذا الذي عند البخاري ليس فيه التصريح بسبب نزول الآية{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ} [الإسراء: ٥٦]، ولا التي بعدها، وقد جاء ذلك صريحًا عند الحاكم في

«المستدرك»(٢/ ٣٩٤)(٣٣٧٨): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ-ابن مسعود-رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ نَفَرٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ فَأَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ وَتَمَسَّكَ الْإِنْسِيُّونَ بِعِبَادَتِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[الإسراء: ٥٧].

ولكنه من طريق قبيصة بن عقبة عن سفيان الثوري، وقبيصة بن عقبة، يخطئ في حديث الثوري.

قال حنبل بن إسحاق للإمام أحمد: فما قصةُ قبيصة في سفيان؟ فَقَالَ أَبُو عبد الله: كَانَ كثير الغلط. قلت له: فغير هذا؟ قال: كان صغيرًا لا يضبط.

وقال يحيى بْن مَعِين: قبيصة ثقة في كل شيء، إلا في حديث سفيان ليس بذاك القوي؛ فإنه سمع منه وهو صغير.

وَقَال صالح بْن مُحَمَّد الْحَافِظ-وهو جَزَرَة-: كان رجلًا صالحًا إلا أنهم تكلموا في سماعه من سفيان.

يراجعُ: «تهذيب الكمال»(٢٣/ ٤٨٤).

وهل معنى هذا أنه يكون ضعيفًا في سفيان الثوري؟

استفدت من والدي الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله: أنه لا يضعَّف حديثه إذا روى عن الثوري، ولكن هناك أخطاء له في روايته عن الثوري. اهـ.

ونجد هنا أنه قد خالف قبيصةَ الأشجعيُّ-وهو عبيد الله بن عبيد الرحمن-ثقة مأمونٌ، أثبتُ الناس كتابا في الثوري. فيكون الراجح رواية الأشجعي؛ لأنه ثقة، ولأنه أثبت الناس كتابًا في الثوري.

أكثر المفسرين على أنها نزلت فيمن يعبد المسيح وأمَّه، والعزير، والملائكة (٨)، وقد نهى اللهُ عن ذلك أشدَّ النهي كما في هذه الآية من التهديد والوعيد على ذلك، وهذا يدل على أن دعاءهم من دون الله شركٌ بالله ينافي التوحيد، وينافي شهادة أن لا إله إلا الله.

ومضمون هذه الكلمة (٩) نفي الشرك في العبادة، والبراءة من عبادة كل ما عبد من دون الله؛ فإن التوحيد أن لا يدعى إلا الله وحده، وكلمة الإخلاص نفت هذا الشرك؛ لأن دعوةَ غيرِ الله تألُّه وعبادة له، والدعاء مخ العبادة (١٠).

أما قوله تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ فنزولها ثابت عند مسلم(٣٠٣٠)، قال: فَنَزَلَتْ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]. وأصل الحديث عند البخاري(٤٧١٥)، وليس فيه ذكر النزول.

(٨) والآية أعم، فهي تشمل كل معبود من دون الله، كالملائكة والأنبياء والصالحين، فكل معبود من دون الله لا ينفع عابده، وهذا كما قال ربنا ﷻ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢﴾ [سبأ: ٢٢].

(٩) كلمة التوحيد.

(١٠) الحديث فيه عبدالله بن لهيعة ضعيف، والثابت أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ» رواه أبوداود في «سننه» (١٤٧٩) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، وهو في «الصحيح المسند» (١١٥٩) لوالدي رحمه الله.

وفي هذه الآية: أن المدعو لا يملك لداعيه كشف ضرر، ولا تحويله من مكان إلى مكان (١١)، ولا من صفة إلى صفة (١٢)، ولو كان المدعو نبيًّا أو ملَكًا، وهذا يقرر بطلان دعوة كل مدعو من دون الله كائنًا من كان (١٣)؛ لأن دعوته تخون داعيه أحوج ما كان إليها؛ لأنه أشرك مع الله من لا ينفعه ولا يضره، وهذه الآية تقرر التوحيد، ومعنى لا إله إلا الله (١٤).

---

(١١) كأن يحوله من إنسان إلى إنسان آخر، أو من عضو إلى عضو آخر، أو من بلد إلى بلد آخر، لا يستطيع أن يفعل شيئًا.

(١٢) كتحويل المرض إلى عافية، الشدة إلى رخاء، واليسر إلى عسر، والفقر إلى غنى أو العكس. ومن كان هذا حاله العجز والضعف لا يملك ضرًّا ولا نفعًا، فإنه لا يستحق أن يصرف له شيء من العبادة؛ ولهذا يتكرر توبيخ المشركين في القرآن كيف يعبدون ما لا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾ [الأنبياء: ٦٦-٦٧]، وقال تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۝٨٩﴾ [طه: ٨٩]، لو كان يملك نفعًا لنفع نفسه،.. ولكنه الشيطان يزين لهم.

(١٣) سواء كان ملكًا أو رسولًا أو صالحًا أو شجرًا أو حجرًا كل هذه لا تملك شيئًا، وصرف شيء لها من العبادة شرك أكبر مخرج من الملة.

(١٤) فيرجع الداعي خائبًا منكسرًا؛ ذهب دعاؤه وتوسله ورجاؤه هباء منثورًا، قال تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥﴾ [الأحقاف: ٥]، وقال تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ

قال المصنف رحمه الله: وقول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] الآية.

ش/يبين أن هذا سبيل الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من المؤمنين.

قال قتادة: تقربوا إليه بطاعته، والعمل بما يرضيه.

وقرأ ابن زيد: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾.

قال العماد ابن كثير: وهذا لا خلاف بين المفسرين فيه. وذكره عن عدة من أئمة التفسير.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: في هذه الآية ذكر المقامات الثلاث (١٥): الحب، وهو ابتغاء

ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأحقاف: ٢٨]، وقال: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾ [الكهف: ٥٢]، إلى غير ذلك من الآيات.

(١٥) أي: المراتب الثلاث: المحبة، ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾، فيعبدون الله سبحانه وتعالى بالمحبة وابتغاء القرب منه.

والرجاء: يطمعون في ثواب الله.

والخوف: الخوف من الله وعذابه.

قال السعدي رحمه الله في «تفسير هذه الآية» (٥٧) من سورة الإسراء: وهذه الأمور الثلاثة: الخوف والرجاء والمحبة التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده هي الأصل والمادة في كل

القرب إليه والتوسل إليه بالأعمال الصالحة.

والرجاء.

والخوف.

وهذا هو التوحيد، وهو حقيقة دين الإسلام كما في «المسند» عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده (١٦)، أنه قال: والله، يا رسول الله، ما أتيتك إلا بعد ما حلفت عدد أصابعي هذه:

خير. فمن تمت له تمت له أموره وإذا خلا القلب منها ترحلت عنه الخيرات وأحاطت به الشرور. اهـ.

وهذه من الأعمال القلبية.

(١٦) الذي في «مسند أحمد» ليس من طريق بهز، ولكنه من طريق أبي قزعة الباهلي عن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه، ولكنه أخرجه النسائي من هذه الطريق، والحاكم من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده بنحوه.

والحديث من طريق أبي قزعة الباهلي ذكره والدي ﷺ في «الصحيح المسند» (١١١٣)؛ لأن والدي ﷺ تجنب هذه السلسلة بهز بن حكيم عن أبيه عن جده في كتابه «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين»، واقتصر على رواية أبي قزعة الباهلي عن حكيم؛ لأن شرط الوالد ﷺ في «الصحيح المسند» شديد، وإلا فهو يقبل حديث بهز بن حكيم خارج كتابه المذكور.

وهذا الحديث يذكر معاوية بن حيدة أنه حلف قبل أن يسلم عدد أصابعه ألَّا يأتي إلى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثم منَّ الله عليه وأتى وسأل النبي ﷺ عما بعثه الله به؟ فأجابه في هذا الحديث أن الله بعثه بالإسلام، الذي يقول الله تَعَالَى فيه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

ألَّا آتيك، فبالذي بعثك بالحق ما بعثك به؟ قال: «الإسلام»، قال: وما الإسلام؟ قال: «أن تسلم قلبك، وأن توجه وجهك إلى الله [١٧]، وأن تصلي الصلوات المكتوبة، وتؤدي الزكاة

---

(١٧) هذا يدل على أن الإسلام خضوع القلب لله وحده، وأيضًا التوجه إلى الله ظاهرًا وباطنًا بالقلب والجوارح، فيخلص لله ويفرد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذا كما قال ربنا ﷻ: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠]. وقول الله تَعَالَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠]

وعَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَامَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَهُنَّ ثُمَّ مَاتَ تَحْتَ لَيْلَتِهِ مَاتَ عَلَى الفِطْرَةِ» رواه البخاري (٦٣١٥) مسلم (٢٧١٠).

قال ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد»(٤/ ٢٢٤): وَذَكَرَ الْوَجْهَ إِذْ هُوَ أَشْرَفُ مَا فِي الْإِنْسَانِ، وَمَجْمَعُ الْحَوَاسِّ، وَأَيْضًا فَفِيهِ مَعْنَى التَّوَجُّهِ وَالْقَصْدِ مِنْ قَوْلِهِ:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ... رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ. اهـ.

(إِلَيْهِ الْوَجْهُ) أي: القصد.

المفروضة»[١٨].

وأخرج محمد بن نصر المروزي[١٩] من حديث خالد بن معدان، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للإسلام صُوى[٢٠] ومنارًا كمنار الطريق[٢١]، من ذلك أن تعبد الله

الحواس الخمس: السمع والبصر، الذوق، والشم، واللمس.

(١٨) هذا الحديث يدل على أن العبد يكون دائمًا متجهًا إلى الله ﷻ وحده.

وفيه: ذكر الصلوات المكتوبة وإيتاء الزكاة المفروضة، وهذه من قواعد الإسلام؛ فالصلاة والزكاة من أركان الإسلام الخمسة.

(١٩) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة»(٤٠٥). وذكره الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة».

(٢٠)الصُّوَى: الأعْلام المَنْصُوبة مِنَ الحِجَارة فِي المفَازَة المَجْهُولة»، يُسْتَدلُّ بِهَا عَلَى الطَّرِيق، واحِدَتُها صُوَّةٌ كَقُوّةٌ: أَرَادَ أَنَّ لِلْإِسْلَامِ طَرَائقَ وأعْلامًا يُهتَدَى بِهَا.«النهاية»(٣/ ٦٢).

المفازة: الصحراء

(٢١) قال الصنعاني ﷺ في «التنوير شرح الجامع الصغير»(٤/ ٦٤): (ومنارًا) أي شرائع يهتدى بها. (كمنار الطريق) أي للإسلام علامات يستدل بها على إسلام من تخلق بها وهي شرائعه، ويحتمل أن المراد: أن لحقيته علامات وأدلة تدل على أنه حق بدعائه إلى كل كمال ونهيه عن كل مقت فإنه واضح الأدلة. اهـ.

وهذا نستفيد منه: أن الإسلام له علامات واضحة.

وفيه احتمالان: إما أن المراد أنه يكون علامة أن العبد من المسلمين؛ وذلك لتمسكه بالإسلام، وتخلقه بأخلاقه الزكية، من حيث الوفاء بالوعد والصدق والأمانة وحسن التعامل.. وغير ذلك.

ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (٢٢).

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿* وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: ٢٢] (٢٣)

ويحتمل: أن المراد أن الإسلام له علامة أنه حق من عند الله؛ لشموله وعمومه في أحكامه وفي الدعوة إلى كل كمال، والنهي عن كل رذيلة.

ولا مانع أن يشمل اللفظ هذين المعنيين.

(٢٢) وفيه وكذا في الحديث الذي قبله:

أن الأعمال الظاهرة من الإسلام.

وفيه: وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حدود الاستطاعة، ولكن هذه الشعيرة لا يقوم بها إلا من عنده غيرة على دين الله، ومن يهمه الإسلام والمسلمين.

(٢٣) أي: ما في هذه الأدلة هو معنى ما في هذه الآية ﴿* وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ في بيان الإسلام والتوحيد.

فهذه الآية فيها ﴿* وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وإسلام الوجه هو الاتجاه إلى الله ظاهرًا وباطنًا، بقلب الإنسان وجوارحه.

{وَهُوَ مُحْسِنٌ} أي: ومع ذلك هو متبع غير مبتدع، فهذا هو المسلم الموحد الذي استمسك بالعروة والوثقى.

قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[الزخرف: ٢٦-٢٨].

ش/أي: لا إله إلا الله (٢٤).

فتدبر كيف عبَّر الخليل (٢٥) عليه السلام عن هذه الكلمة العظيمة بمعناها الذي دلت عليه، ووُضِعت له، من البراءة من كل ما يُعبد من دون الله، الموجودة في الخارج (٢٦): كالكواكب، والهياكل (٢٧)، والأصنام التي صوَّرها قوم نوح على صور الصالحين: ود، وسواع، ويغوث،

ثم ختم سُبحَانَهُ الآية بقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ أي: مرجعها ومصيرها إلى الله، وسيجازيهم يوم المعاد على أعمالهم ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾[غافر: ١٧]، والعاقبة الحميدة للمتقين كما قال ربنا عز وجل: {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨)} [الأعراف: ١٢٨]، وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾[طه: ١٣٢].

وفي الآية: أن تدبير الأمور وتصريفها إلى الله لا إلى غيره.

(٢٤) هذا تفسير الكلمة الباقية بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

(٢٥) إبراهيم عليه السلام، وأبوه آزر.

(٢٦) أي: في الشاهد.

(٢٧) التماثيل يجعل له إلهًا على صورة كوكب أو نحوه ثم يعبده.

ويعوق، ونسر [٢٨]، وغيرها من الأوثان والأنداد التي كان يعبدها المشركون بأعيانها، ولم يستثن من جميع المعبودات إلا الذي فطره وهو الله وحده لا شريك له؛ فهذا هو الذي دلت عليه كلمة الإخلاص مطابقة [٢٩]، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ

---

(٢٨) كما في الآية في سورة نوح كما ذكر الله عن قوم نوح: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣].

(٢٩) كلمة الإخلاص هي كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وما في قول الله تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يدل عليه كلمة الإخلاص مطابقة، أي: بدلالة المطابقة؛ إذ (لا إله إلا الله) فيه نفي وإثبات، وهو إفراد الله سُبحَانَهُ بالعبادة وحده، والبراءة من كل معبود سواه.

وقوله تَعَالَى: ﴿* وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ (إذ) مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكر، ومنهم من قال: (إذ) ظرف زمان.

قال ابن هشام في «مغني اللبيب»(١١١): وهذا هو الْغَالِب على الْمَذْكُورَة فِي أَوَائِل الْقَصَص فِي التَّنْزِيل أَن تكون مَفْعُولا بِهِ بِتَقْدِير: اذكر. اهـ.

ونظيره في الشواهد: ﴿* وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤]، ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ [لقمان: ١٣].

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ أي: خلقني.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً﴾ عرفنا أن المراد كلمة التوحيد لا إله إلا الله.

﴿فِي عَقِبِهِ﴾ أي: في ذريته.

{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} قال أبو حيان في «البحر المحيط»(٩/٣٦٨): أَيْ: لَعَلَّ مَنْ أَشْرَكَ مِنْهُمْ يَرْجِعُ بِدُعَاءِ مَنْ وَحَّدَ مِنْهُمْ. اهـ.

وهذا يفيد: أن من عقب نبي الله إبراهيم الموحد والمشرك، وهذا كما قال ربنا ﷻ: ﴿* وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾[البقرة: ١٢٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾[الصافات: ١١٣].

وهذا يدل أن الله سُبحَانَهُ استجاب لنبيه إبراهيم عليه السلام بعض دعائه في مثل: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾[البقرة: ١٢٨]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾[إبراهيم: ٤٠].

كما نستفيد: البراءة من أعمال المشركين ومن الشرك والمشركين، وكما قال ربنا سُبحَانَهُ: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾[يونس: ٤١]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾[الكافرون: ١-٦]، وقال تَعَالَى عن نبيه إبراهيم: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾[الشعراء: ٧٧-٧٨]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ

مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، فكل عبادة يقصد بها غير الله: من دعاءٍ وغيره؛ فهي باطلة، وهو الشرك الذي لا يغفره الله، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٤﴾ [غافر: ٧٣-٧٤].

إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤﴾ [الممتحنة: ٤].

وهذا هو الولاء والبراء في الله سُبحَانَهُ.

فيجب التبرؤ من الكفر وأهله وبغضهم وعداوتهم ولو كانوا أقرب قريب، ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [المجادلة: ٢٢].

نكون قرأنا ثلاث آيات، ولله الحمد.